

طبقات الأطباء بالمغرب الأقصى

بقلم عبد المزين بن عبد الله

ديسقوريدس (I) وقد كتب ابن جليجل أيضا تاريخا للأطباء والحكماء الذين قبله في الأندلس .

والوليد المدحجي الطبيب قد دخل الأندلس مع عبد الرحمن بن معاوية وكان طبيبه أخذ عنه ابنه إبراهيم .

واسحاق بن عمران هو الذي أدخل الطب إلى المغرب وكذلك ابن الجزائر صاحب زاد المسافر وقوت الحاضر وهو أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد المتوفى عام 390 هـ (1004 م) ويوجد الجزء الأول من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية بالرباط كما يوجد في نفس المكتبة مختصر كتاب الاعتماد في الأدوية المفردة لابن الجزائر مرتبا على الحروف وصاحب المختصر غير مذكور .

وقد ألف عبد الملك بن حبيب السلمي المرداسي القرطبي اشئوفى عام 237 هـ مختصرا في الطب توجد منه نسخة مخطوطة في المكتبة الوطنية بالرباط .

وجه الامبراطور الروماني إلى عبد الرحمن الناصر الأموي هدايا من بينها نسخة من ديسقوريدس باليونانية مع صور ملونة للنباتات فطلب الناصر من الامبراطور أن يوجه إليه رجلا يعرف اليونانية واللاتينية فبعث بالراهب نيكولا عام 901 م وكان في قرطبة أطباء منهم حسداى وأبو عثمان الجرار ومحمد بن سعيد وأبو عبد الله الصقلي (الذي كان يتكلم بالآغريقية) وعبد الرحمن بن هيثم توصلوا إلى معرفة جميع الأدوية

ازدهر الطب في المغرب الأقصى منذ عهد المرابطين بفضل حركة التبادل الثقافي التي تبلورت بين المغرب والأندلس طوال ثلاثة قرون عندما كان بلاط مراكنش وفاس يشرف على العدوتين وقد بدأ المغرب يتلقى المدد

الفكري من الأندلس العربية منذ عهد عبد الرحمن الناصر ولم تتسع شبكة تبادل العلماء ورجال الفكر إلا بعد انتصار يوسف بن تاشفين في وقعة الزلاقة .

ولهذا أدرجنا في طبقات أطباء المغرب علماء أندلسيين لما كان لهم من أثر في بلورة الحركة الفكرية الطلائعية في المغرب الأقصى .

ان القرن الرابع الهجري يعد من أنصح القرون في اسبانيا العربية سواء من حيث دراسة الفنون أم من حيث المؤسسات والمخترعات العلمية .

فاذا كان هذا القرن هو أدون من حيث علماءه من القرنين الخامس والسادس الهجريين فإن علماء هذين القرنين انما فاقوهم بفضل ما ابتدعوه من مؤسسات ومكاتب ومدارس فأولئك بذروا وهؤلاء حصروا وفي هذا العصر كان الحماس العلمي يتأجج حول مسألة المجريطي الذي عاش بقرطبة .

وفي هذا الابان كذلك برز ابن جليجل كأعظم طبيب طبائعي في عصره حيث عرب مفردات ديسقوريدس وزاد عليها الادوية المعروفة عند العرب والتي جهلها

(I) توجد في اسطامبول نسختان من كتاب الحشائش لديسقوريدس رسمت في أولهما صورة المؤلف اليوناني وقد اشار بوشثال وكورز إلى نسخة من هذا القبيل انتسخت في بغداد عام 637 هـ (ميلانج) مختلط (لوي ماسينيون ج 2 ص 93) .

المفردة (2) المذكورة في ديسقوريدس باستثناء عشرة منها وقد تعاطى ابن جليل لتاريخ العلوم الطبيعية الطبية . واكمل كتاب ديسقوريدس بعد اتصاله بالراهب نيكولا (لوكليير ج I ص 420) .

ومما يدل على أهمية أطباء الاندلس في القرن الرابع أن محمد بن عبدون القرطبي دخل مصر والبصرة وعنى بعلم الطب ودبر مارستان مصر ثم رجع الى الاندلس سنة 360 وقد ذكر صاعد «انه تمهر في الطب ونسخ فيه وأحكم كثيرا من أصوله ولم يكن يلحقه أحد بقرطبة في صناعة الطب ولا يجاريه في ضبطها وحسن درايته فيها واحكامه لغوامضها» (النفح ج I ص 444) .

وأبرز طبيب عربي ظهر في الاندلس في القرن الرابع هو أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » وقد قال فيه أحد الجراحين الغربيين : « لا شك أن الزهراوى أعظم طبيب في الجراحة العربية وقد اعتمده واستند الى بحوثه جميع مؤلفي الجراحة في القرون الوسطى وكتابه هو اللبنة الاولى في هذا الفن وهو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصاة المثانة واستخراجها بعملية جراحية وعالج الشلل وأول من استعمل خيوط الحرير في العمليات الجراحية . وذكر لوكليير في تاريخ الطب من جهته ان الزهراوى أعظم مثل لعلم الجراحة في المدرسة العربية (ج I ص 334) .

والظاهرة الطريفة التي امتاز بها كتاب التعريف للزهراوى هو ادراجه بازاء النصوص لصور الآلات والا فان كتابه في التشريح مقتبس - حسب الدكتور لوكليير - من الكتاب السادس لبولس دوجين ولكنه كان مع ذلك جراحا ممتازا ووضع في أول كتابه معرفة علم التشريح كأساس للجراحة (ج I ص 455) فكتابه

هو أول تعبير للجراحة كعلم (ص 456) وقد طبع كتاب الزهراوى في الهند بصورة (3) وكثير من كتب الطب تحتوى على صور حيث يوجد مجموع في العين بالخزانة التيمورية كتب عام 592 من محتوياته تذكرة الكحالين لعل بن عيسى الموصلى بها دوائر ورسوم للعين وكتاب في علل العيون وعلاجها لحنين بن اسحاق به صور للعين منونة وقد ترجم هذا الكتاب للالمانية الاستاذ مايهرزف الكحال الشهير .

ويظهر أن الزهراوى مات بعد الاربعمئة كما عند حاجي خليفة وكذلك عند الحسن الوزان الذى أرخ وفاته بـ 404 موافق 1013 وقد وهم كازيرى الذى أكد في المجلد الاول من فهرسته (ص 137) أن المؤرخين الاسبان مجمعون على أن عام 500 هو تاريخ وفاته (لوكليير ج I ص 437) .

أما في خصوص المستشفيات بالاندلس فقد ذكر لوكليير انه لم تصله معلومات في شأنها اللهم الا ما كان من الإشارة الى مستشفى بالجزيرة الخضراء (ج I ص 571) ولكن يوجد في الاسكودريال مخطوط سجلت فيه استشارات طبيب في منزله وهم كازيرى فظنه كتاب امتحانات للمرشحين للطب .

وذكر العلامة الامريكي فكتور روبنصن أنه كان في طليطلة وحدها ما يزيد على اربعمئة مستشفى (؟) أما في المغرب الاقصى فمن الصعب تأكيد اiban ابتداء ازدهار الا أن الدكتور لوكليير أكد أن الطب ازدهر في هذه الربوع خلال القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) ازدهارا عابرا مع الاسف (ج I ص 334) .

ثم تحدث في موضع آخر عن أطباء المغرب فلاحظ أن المغرب هو أشد أقطار الاسلام عمقا من الناحية العلمية (ج I ص 407) .

(2) من جملة من صنف في الادوية المفردة الوزير أبوالمطرف عبد الرحمن بن شهيد وهو آية في الطب عانى جميع ما في كتابه من الادوية المفردة وعرف ترتيب قواها ودرجاتها وكان لا يرى التداوى بالادوية ما أمكن بالأغذية أو ما يقرب منها وإذا اضطر الى الادوية فلا يرى التداوى بالمكبة ما وجد سبيلا الى المفردة وإذا اضطر الى المركب لم يكثر التركيب بل يقتصر على أقل ما يمكن وله غرائب مشهورة في الإبراء من الامراض الصعبة والعلل المخوفة بأيسر علاج وأقربه (النفح ج 2 ص 874) .

(3) يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع عدد 1427 د بعد المقالة الثامنة من كتاب التعريف للزهراوى مقالة تحتوى على 28 صورة لحدائد الكلي ومالات العمل وهذه المكايي الدقيقة الصنع تختلف حسب العضو المريض من الرأس الى الاذن والفك والعين داخلا وباطنا والاضراس والمعدة والكبد والطحال والقدم والساق والتأليل والرحم والمثانة الخ .

وابن العوام هذا هو أبو زكرياء يحيى بن محمد
الذي لا نعرفه الا من خلال مصنفاته ويرى كازيري أنه
عاش في القرن السادس الهجري . (4)

زد على هؤلاء الشريف الادريسي السبتي وقد جاء
في رسائل البشري أنه اشتهر في فنون الهيئـة
والجغرافية والفلسفة والطب والنجوم وقرض الشعر
وطاف بمصر وآسيا الصغرى والقسطنطينية والاندلس
وفرنسا وانجلترا ووصف نباتات كل قطر (الاعلام
للمراكشي ج 3 ص 34) .

وأصبحت هذه المصنفات أساسا دراسيا لرجال
القرن المقبل أمثال ابن البيطار (5) المالقي واستاذ
أبي العباس النبيطي وهما أعظم العلماء النباتيين العرب
الذين وصلتنا مؤلفاتهم ولم ينجب الشرق في هذه
الاناء من أعظم الرجال سوى فخر الدين الرازي
فاستطاع الاندلس بفضل شبكة علمائه أن يحمل راية
الفلسفة والطب في العالم الاسلامي (لوكلير 2 ص 72) .

على أن أبا عبيد البكري صاحب المسالك قد خلف
كتابا حول أعشاب الاندلس وأشجارها ينقل عنه ابن
البيطار وقد وصف في مسالكة بعض الظواهر الفريدة
من تاريخ علم الطبيعة كالأعشاب المسهلة والأشجار
(أركان) التي أشار الى وجودها في طريق اغمات
الى فاس .

وبفضل الانبيات في الاندلس صارت أوروبا تنفض
عنها اودية الركود وأصبح المسيحيون يتوافدون على
طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد ريموند
أسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني
واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية ثم ورد
جيراردو كرىمون على طليطلة حيث استقر نحو من
نصف قرن نقل خلالها من العربية الى اللاتينية ستة
وسبعين كتابا عربيا أو اغريقيا معربا .

وقد بدأت حركة الترجمة في افريقيا منذ القرن
الرابع فهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد أسس
مدرسة سالرنة وهي أول مدرسة من نوعها في أوروبا

(4) ذكر رسكا Ruska في دائرة المعارف الاسلامية (ج 1 ص 245) أنه عاش حوالي نهاية القرن الثاني
عشر الميلادي . وذكر Huart أنه صنف كتابه في النصف الاول من القرن السادس الهجري (الاعلام للزركلي ج 9 ص 208)
(5) ابن البيطار توفي عام 646 (نفع الطيب ج 2 ص 874)

ومع ذلك فقد كان في المغرب الثلاثة أطباء مهرة
في هذا العصر يدل على ذلك ما رواه القفطى من أن المعز
الفاطمي قد رافقه الى مصر أطباء من أرض المغرب
(أخبار العلماء باخبار الحكماء ص 75)

وقد اشتهر قسطنطين التونسي في القرن الرابع
كطبيب ترجم عشرات الكتب الى اللاتينية .

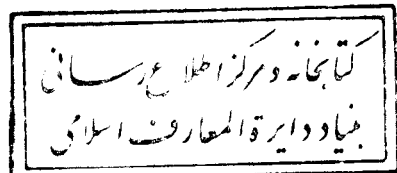
وقد عرف البرابرة منذ عهد سحيقة حقن جرائيم
الجندري وكانوا يستعملونه لتحسين المصاب (كودار
وصف المغرب وتاريخه ج 1 ص 239) .

ونقل الكانوني في «شبهيرات المغرب» (مخطوط) عن
كتاب «فن الاسنان بالمغرب الأقصى» أنه كان بفاس في
القرن الرابع الهجري مدرسة طبية وذلك أيام كان
المغرب تحت نفوذ الامويين .

والواقع أن الطب لم يزدهر حقيقة بالمغرب الأقصى
الا منذ القرن الخامس يشهد بذلك نبوغ أمثال
ابن طفيل وابن باجة وابن رشد (الذي هو أعظم
فيلسوف انجسته الاندلس) وبنى زهر الذين توارثوا
الطب طوال ثلاثة قرون وأعظمهم هو ابي مروان عبد
الملك الذي يعتبره بعض المؤرخين أكبر طبيب تخرج من
المدرسة العربية يضاف الى هؤلاء الغافقي وأبو الصلت
أمية ابن عبد العزيز الداني اللذان ألفا في تاريخ
الطب الطبيعى .

والغافقي هذا هو أبو جعفر أحمد بن محمد وهو غير
محمد بن قسوم الغافقي صاحب المرشد في طب العيون
ويوجد كتاب الأعشاب للغافقي في دار الآثار العربية
وهو يحتوي على 380 رسما ملونا لنباتات ونباتات
وحوانات متقنة الرسم .

وممن نبغ بالاندلس في هذا العصر ابن العوام
مؤلف «كتاب الفلاحة» الذي لا يوجد له نظير في
الادب العربي لما يحتوي عليه من معارف تطبيقية
ووثائق قديمة ثمينة (لوكلير ج 2 ص 11) بل هو أعظم
ما أنتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة
(ص 110) .



عشر وخاصة الثاني عشر أبرز عصور اسبانيا المسلمة
امتزج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين
والموحدين ثم يقول رينو :

« فكيف اذن يمكن أن تفصل بين دراسة الطب
بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين انجبتهم الاندلس
أو الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب
منوك المغرب من اشبيلية او قرطبة الى فاس أو مراكش
أو اغمات فللمغرب الحق اذن أن يتبنى ابن باجة وابن
طفيل وابن رشد الخ (الطب القديم بالمغرب نشرة معهد
الدروس العليا عدد I ص 72) .

ويظهر أن أبا العلاء زهر بن زهر هو أول طبيب
اندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين وقد كان
طبيباً خاصاً ليوسف بن تاشفين بعد أن كان طبيب
المعتمد بن عباد باشبيلية .

وقد ذكر المراكشي في المعجب أن المعتمد استدعى
أبا العلاء لمعالجة الرميكية عندما كان أسيراً باغمات .

والد أبي العلاء هو أبو مروان عبد الملك بن أبي
بكر محمد بن مروان بن زهر الذي تولى رئاسة الطب
ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (النفح ج I ص 445) .
وكانت له آراء شاذة في الطب منها منعه من الحمام
اعتقاداً منه أنه يعفن الاجسام ويفسد تركيب الامزجة
(عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة)
ج 2 ص 64-66) .

وقد تمخضت تجارب أبي العلاء في المغرب عن تأليفه
لكتاب « التذكرة » (الذي ترجمه وطبعه كولان عام
1911 بباريس) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها
لوالده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة في مراكش
والادوية المناسبة .

وبعد ما توفي أبو العلاء أمر علي بن يوسف بجمع
ملاحظات طبية أخرى كان أبو العلاء سجلها في أوراق
وهي « المجربات » التي جمعت بمراكش عام 526 هـ
والتي يوجد مخطوط منها في الاسكوريال (رقم 844) .

وقد ترجم جان دو كابو التذكرة من العبرانية الى
اللاتينية (نسخة في مكتبة كلية الطب بباريس) ثم
تولت التراجم عام 1280 والمطبوعات (عشر مرات بين
1490 و 1554) .

وكانت مبعث أنوار الطب الحديث ولد حوالي عام 400
بتونس وحمل مخطوطات طبية الى سالرنة
بقيت غذاء أوروبا عدة قرون وترجم الى اللاتينية
أهم كتب الطب العربي منها زاد المسافر
لابن الجزار وكتب للرازي واسحاق بن سليمان
الاسرائيلي وألف نحو 24 كتاباً في الطب منها
قانون الطب في 12 مجلداً وفياتيكوم في الطب العام
في سبعة أجزاء ومات عام 475 .

ولكن لم يكده يمضي العقد الاول من القرن السابع
(أى بعد غزوة العقاب التي انهزم فيها الموحدون عام
609 هـ) وكانت السبب في هلاك الاندلس ، كما يقول
ابن عذاري (ج 4 ص 240) حتى بدأ صرح العلم ينهار
وطمست الاضطرابات ذلك الرواء الذي تألق نجمه منذ
عهد الناصر الاموي طوال ثلاثة قرون .

نعم في العهد الذي كانت الاندلس خاضعة لسلطان
مراكش تكونت - كما يقول لوكليز - (ج 2 ص 240)
جماعة من الاطباء التفت حول ملوك المرابطين والموحدين
وسار معظمهم في ركاب هؤلاء الملوك الى المغرب حيث
قضوا بقية حياتهم في العلاج وتدريس الطب - فانساد
المغرب كثيراً من نكبة الاندلس .

ويظهر أن علوم الحكمة تقلص ظلها مؤقتاً في عهد
المنصور عندما حارب الفلاسفة حتى اضطر ابن رشد
نفسه الى التخلي عن الخوض في ذلك والمنصور هذا وان
كان لم يقصد اضطهاد رجال الطب حيث أنشط بابن
زهر نفسه مأمورية تعقب الفلاسفة ثقة به الا أنه عند
الى تدوين الاحاديث وترتيب الجرايات لحفظها فاتجه
الناس اليها انجذاباً للمادة فقل المعتنون بالحكمة والطب
على أن اعتقال المنصور لابن رشد وأبي جعفر الذهبي
زاد الناس ريباً في مصير الفلاسفة والاطباء .

ولعل المنصور شعر بخطورة هذه التدابير فأعاد
الخطوة الى الرجلين وكلف أبا جعفر بالسهر على مصالح
الاطباء وطلبة الطب وتلك من المنصور محاولة لا يؤس
بها لتنظيم المهنة الطبية .

وقد أكد الدكتور رينو أن المغرب لم يقم على وجه
العموم بدور يذكر في العصر الذي كان الطب وبقية
العلوم يتألق نورها في سوريا والعراق ومصر وحتى
في اسبانيا المجاورة ولكن منذ أواخر القرن الحادي

وتوجد الآن نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريز يرجع تاريخ طبعتها الى 1531 وهى تحتوى على كليات ابن رشد .

وهناك رسالة فى امراض الكلى كتبها أبو العلاء لعلى ابن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام 1497 كما يوجد مخطوط له حول الخواص بمكتبة باريس ومنه استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات. ولا بى العلاء. مقالة فى شرح رسالة يعقوب بن اسحاق الكندى حول تركيب الادوية .

وتوجد نسخة من «جامع أسرار الطب» لابى العلاء. فى المكتبة الوطنية بالرباط وهى تحتوى على 185 ورقة.

وولده هو أبو مروان عبد الملك بن زهر خدام المرابطين مثل أبيه وألف كتاب الاقتصاد لابراهيم بن يوسف أخى على (يوجد منه مخطوط بباريس رقم 2959) وكذلك نسخة فى الاسكوريال حسب رينو محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية وفرغ من الكتاب عام 515 هـ وهو - كما يقول المؤلف - عبارة عن تذكرة لمن سبق له أن قرأ كتباً أخرى فى الطب فالمؤلف لا يتكلم مع العموم ولكن مع طبيب مثله وقد أوضح بكيفية عملية الفرق بين الجذام والبهق ومسألة العدوى بـل أفرد لذلك رسالة لم تصلنا ويذكرون أن ابن زهر هذا أعظم من ابن سينا ولا يعد له سوى الرازى فى الشرق .

وقد تحدث ابن زهر فى هذا الكتاب عن اطباء عصره فذكر انهم يختلفون فى الاعتناء بالمرضى وأن الناس يجهلون الطب لان الطبيب الذى يستشير مريض من المرضى يبادر فيصف له دواء من الادوية دون تمحيص للحالة فى جميع خواصها ثم ذكر انه استدعى يوما من الايام لدى أمير مرابطى فوجد جماعة من الاطباء شبابا وشيوخا لم يسبق له أن تذاكر معهم ولكنه تأثر بتجربتهم فجرت المذاكرة حول الداء الذى يشكو منه الامير فبادر الاطباء الحاضرون ووصف كل منهم دواء فلم يوفق فى نظر ابن زهر سوى واحد منهم ومع ذلك لم يستكنه سبب الداء ومما امتاز به وخالف فيه أطباء عصره الاقدمين أنه كان يستعمل الفصد للشيوخ من سبعين سنة فأقل وللأطفال كذلك حيث فصد ابنه من ثلاث سنوات فأدهش معاصريه وكان والده أبو العلاء يوصى ببطيخ فلسطين أى الدلاع فى عرف المغاربة فى أمراض الكبد ويعالج بجس النبض والنظر الى قوادر البول .

وقد قرأ أبو الحكم ابن غلندو الاشبيلي الشاعر على أبى مروان ابن زهر عام 535 كتاب الاقتصاد فى سجن مراكش حيث مكث ابن زهر نحو العشر سنين .

والمنصور هو الذى استقدمه للمرة الثانية الى مراكش عام 580 حيث مات فى السنة التالية .

وقد سبق لعبد المومن أن اختصه لنفسه وعلو عليه فى الطب وله ألف الترياق السبعيني وأثبت كرمه عنب كان يسقيها من ماء مسهل لكراهية عبد المومن لشرب المسهلات فصار يعطيه من ثمارها وقد ألف كذلك كتاب الاغذية (ابن أبى أصيبعة ج 2 ص 66) .

وكتاب التيسير قد كتبه أبو مروان بن زهر بطلب من ابن رشد كتذليل لكتابه الكليات .

وقد ذكر ابن زهر فى آخر كتابه أن الشخص الذى كلف بمراقبته فى التأليف لم يرقه الكتاب لانه يخالف التعليمات الصادرة اليه ولان فهمه يصعب على من ليس عنده مسكة من الطب لذلك الحق ابن زهر «الجامع» بآخر الكتاب فهل عبد المومن هو الذى أمره بتصنيفه ؟ ويظهر من تحليل لوكليير لكليات ابن رشد المترجمة الى اللاتينية أن ابن رشد ينقل عن تيسير ابن زهر .

وقد أكد ابن عبد الملك فى الذيل والتكملة أن ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من أهل عصره .

وتعرض ابن سعيد فى الرسالة التى ذيل بها رسالة ابن حزم فى فضل علماء الاندلس - لعبد الملك بن أبى العلاء بن زهر فذكر أن كتاب التيسير مشهور بأيدي الناس بالمغرب وقد سار ايضا فى المشرق لنبله (النفح ج 2 ص 778) .

وتوجد بالمكتبة الوطنية بباريز مجموعة تحت عدد 2960 تحتوى على كتابى الاغذية والتيسير لابن زهر و «التذكرة» لابى العلاء ورسالة فى الادوية .

وقد نهج ابن زهر فى كتاب التيسير أسلوبا جديدا فى الحكمة القياسية مستخدما التمحيص العقلى للوصول الى أحسن النتائج فهو طبيب التجربة والتمحيص العلمى وليس من صناع اليد كما يقول فى «التيسير» أما فى الميدان العملى فقد لاحظ ابن زهر أنه يأنف من اجراء العمليات الجراحية الكبرى بنفسه لان رؤيته الجروح تثير فى نفسه ضعفا يوشك أن يسفر عن اغما. لكنه لا يكره تحضير الادوية غير مستعمل الخمر

ففي تركيبها على سنن والده أبي العلاء حتى لو أوصى بذلك جالينوس على خلاف الرازي .

وتحدث عن الاعمال اليومية في الطب فلاحظ أنها موكولة لآعوان الطبيب مثل الفصد والكي وفستج الشرايين أما مهمة الطبيب فهي تقرير نظام الأكل عند المريض ووصف الأدوية فهو لا يتناول شيئا بيده ولا يركب دواء وحكى أن والده لم يباشتر شيئا من هذا القليل بيده طوال حياته وحتى لو أراد ذلك لما وفق لعدم الاستئناس وتحدث عبد الملك عن نفسه فذكر أنه كان هو نفسه ولوعا بالمباشرة اليدوية في الصيدلة وتجربة الأدوية والتوصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية إلى الكشف عن أمراض جديدة لم تدرس قبله فقد اهتم بالأمراض الرئوية واجريت له عملية في القصبة المؤدية إلى الرئة وتمكن هو بعد ذلك من تشريح القصبة في مرض الذبحة فعولج المريض .

وقد اختص ابن زهر في أمراض الجهاز الهضمي واستعمل أنبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع واستعمل الحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صؤابة الجرب كما بسط طرق العلاج القديمة وأوضح أن الطبيعة - إذا اعتبرناها قوة داخلية تدير شأن الجهاز البشري - تكفى وحدها في الغالب لعلاج الأدوية (حضارة العرب جوستاف لوبون ص 530 من الطبعة الفرنسية) .

وكان أبو مروان إذا عالج مريضا نسي نفسه واستهلك في مريضه وهذا هو سر عبقريته فإذا عرضت عليه حالة شائكة حاول أن يعيشها واستمد من ذكرياته وتجاربه ومنطقه ولهذا كان نسيج وحده وانكب أطباء القرون الوسطى على دراسة كتابه التيسير الذي ترجم أولا إلى العبرانية من طرف شخص مجهول (مخطوط بمكتبة ليد) ثم إلى الإيطالية عام 1260 .

وقد تحدث ابن زهر في كتاب التيسير عن يمين ابقرات الذي كان يطالب بها جميع من يدرس مصنفاته ويقتضى منهم الزام تلاميذهم بها وقد ذكر ابن زهر أن والده أبا العلاء تلقى اليمين منه عندما كان لا يزال طفلا لدى ابتدائه دراسة الطب وحكى أن أحد الشوار

طلب منه سما فأبى معرضا نفسه للخطر ثم سقط هذا الشائر مريضا وبدلا من أن يقضى الطبيب عليه عالجته بإخلاص طبقا لمبادئ ابقرات .

وقد وهم كودار فزعم في كتابه حول تاريخ المغرب (ص 452) أن أبا مروان ابن زهر يهودي ثم أكد أن أبا زهر استعاض بالمنهج التجريبي والطريقة العقلية عن التقليد في ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول تزجيدها وهي الصيدلة والجراحة والطب العام .

والحفيد أبو بكر بن أبي مروان كان طبيبا شاعرا متين الدين خدم الدولتين اللتونية والموحدية (عبد المؤمن ويوسف ويعقوب والناصر) توفي عام 596 هـ بمرأكش ألف الترياق الخمسيني ليعقوب المنصور ودس إليه ابن يوجان وزير المنصور السم هو وابنة أخته وكانت هي وأما عالمتين بالطب لا سيما في أمراض النساء. وتدخلان إلى نساء المنصور (ابن أبي أصيبعة ص 67) وكان أبو بكر يحفظ صحيح البخاري بأسانيده (الأنيس المطرب ج 2 ص 180) ولم يكن نسي زمانه أعلم منه باللغة وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهوثلت لغة العرب (المطرب لابن دحية) .

وولده عبد الله بن الحفيد خدم الناصر بن المنصور وكان عالما بأسرار الصناعة وتوفي مسموما في رباط الفتح عام 602 هـ ودفن بها وهو ابن 25 سنة (ابن أبي أصيبعة ص 74) .

أما أبو بكر بن يحيى ابن الصائغ المعروف بابن باجة فهو شيخ ابن رشد المتوفى بفاس (ابن أبي أصيبعة ج 2 ص 63) وقد استوزره أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكان يشارك الأطباء في صناعتهم فحسدوه وقتلوه مسموما عام 533 هـ (القفا ص 265) .

وقد زعم مونك أن ابن رشد لم يتلمذ لابن باجة الذي مات عام 538-525 هـ (4) أي عندما كان لابن رشد 12 سنة وابن أبي أصيبعة كتب تاريخه بعد وفاة ابن رشد بأربعين سنة (مزيج من الفلسفة اليهودية والعربية ص 420) .

كما خطأ عمر فروخ في كتابه «ابن طفيل وقصة

(4) وينكرون أن وفاته كانت سنة 533 هـ بفاس فيكون قد أتبع بذلك لابن رشد أن يتلمذ له .

يوسف بن عبد المومن (الاعلام لعباس المراكشي ج I ص 343) .

ومنهم أيضا أبو الوليد بن رشد الذي تميز في الطب وله كتاب الكليات الذي ترجم الى اللاتينية وطبع ولما ألف كتابه هذا قصد من ابن زهر أن يؤلف كتابا في الامور الجزئية لتكون جملة كتابيهما ككتاب كامل في صناعة الطب وكان مكينا عند المنصور ثم الناصر وقد نظم المنصور على أبي الوليد واجبره على المقام في الميسانة قرب قرطبة وكانت أولا لليهود كما نظم على أبي جعفر الذهبي ومحمد بن ابراهيم قاضي بجاية والكفيف لاشتغالهم بالحكمة ثم رضى عنهم عام 595 هـ وجعل أبا جعفر الذهبي مزارا للطلبة ومزارا للأطباء .

وفي نفس السنة توفي أبو الوليد بمراكش وخلف ولدا عالما بالطب اسمه عبد الله وهو طبيب الناصر وقد شرح ابن رشد أرجوزة ابن سينا في الطب .

ولعل الحكمة كانت تشمل في هذا العصر جميع شعب الفلسفة والعلوم الا أن ابن القاضي أكد بعد ذلك أن الحكيم هو عبارة عن الناظر في العيون لا في الابدان لان هذا هو الطبيب (درة الحجال ص 117) .

ولابن رشد تلخيص كتاب العلل والاعراض والتصرف والحميات والادوية المفردة وحيلة البر .

وكان أكثر تلامذته - على ما يقال - من اليهود والنصارى وقل من كان يقرأ عليه من المسلمين لرميه بضعف المعتقد وفي هذا الزعم كثير من الايغال .

وقد اقترح ابن رشد في شرحه لابن سينا ما يصفه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء في الامراض الرئوية وقد أشار الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (حضارة العرب جوستاف لوبون ص 531 من الطبعة الفرنسية) .

وابن رشد هو أول (5) من أشار الى الدورة الدموية وعللها في كتابه الكليات الذي استمد منه ويليام هارفي معظم نظرياته وهناك أطباء آخرون منهم :

أبو الحجاج يوسف بن موداطير طبيب المنصور

حي بن يقظان ، (ص 31) «المراكشي» ، حينما زعم أن ابن طفيل قرأ على ابن باجة .

وقد اضطرب الفتى بن خاقان في ابن باجة حيث نسب في القلائد للتعطيل وانحلال العقيدة وحلاه في « مطمح الانفس في ذكر رجال الاندلس » بالخير والدين والاستقامة (السلوة ج 3 ص 262) . ولم يصلنا شيء من المؤلفات الطبية المنسوبة لابن باجة ولا يعرف الا عن طريق ابن البيطار الذي يقتبس منها في جامع المفردات .

ومن تلامذة ابن باجة أبو الحسن سفيان الاندلسي المتوفى عام 537 الذي كان أحد أطباء علي بن يوسف وتعاون مع شيخه ابن باجة في تأليف كتاب التجربات (لوكليز « تاريخ الطب العربي » ج 2 ص 79) ولعله هو الذي أشار اليه ابن زهر في كتابه «التيسير» حيث ذكر ان علي بن يوسف استقدمه من الاندلس في مرضه الذي توفي منه وقد ذكروا ان سفيان هذا مات في نفس العام اي بعد وفاة ابن باجة بأربع سنوات .

ومن الاطباء الذين نبغوا في هذا العصر : أبو جعفر ابن هارون الترجالي طبيب يوسف وهو تلميذ المعافري في الحديث وشيخ ابن رشد في التعاليم والطب وكان عالما بصناعة الكحل (طب العينون) (ابن أبي اصيبعة ج 2 ص 75) .

وذكر ابن عذارى في البيان المغرب (ج 4 ص 49) ان الخليفة ابا يعقوب اعتل عام 573 فوفدت عليه الاطباء من الاندلس للمعالجة الى أن وجد الراحة .

وذكر أيضا أن أبا يعقوب لما جرح في الغزوة التي مات اثرها بالاندلس كان الاطباء الحاضرون لديه هم ابن زهر وابن مقبل وابن قاسم (ج 4 ص 70) .

وذكر صاحب الانيس المطرب من اطباء يوسف بن عبد المومن الوزير أبا مروان عبد الملك بن قاسم القرطبي زيادة على ابن طفيل وابن رشد وابن زهر (ج 2 ص 176) .

وكان الطبيب سعيد الغماري بمراكش في عصر

(5) ابن النفيس المصري اكتشف الدورة الدموية الصغرى وهي الدورة الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون نشرة المعهد المصري ج 26 عام 1934 - بحث بقلم ماكس مايرهوف ص 33) وقد أشار ابن النفيس الى ذلك في «الكتاب الشامل في الطب» الذي كان يحتوي على 300 مجلد وقد أهدى مؤلفه منه 80 مجلدا لمستشفى قلاوون .

والناصر (الذي رافقه الى تونس) والمستنصر وقد مات بالقرس في مراكش ومن تلامذته أحمد بن عبد الله الكتباني الذي درس الطب على عبد العزيز بن مسلمة الباجي وعندما ألف ابن أبي أصيبعة كتابه كان هو طبيبا في اشبيلية عند بني هود .
أبو مروان عبد الملك بن قبال الغرناطي طبيب المنصور والناصر .

أبو اسحاق ابراهيم الداني (من بجاية) كان أمين البيمارستان وطيبه بمراكش حيث توفي في أيام المستنصر .

وذكر لوكليز أنه كلف بادارة مستشفى الجزيرة الخضراء، وخلفه فيه ولده محمد الذي قتل في غزوة العقاب (ج 2 ص 242) .

أبو يحيى بن قاسم الاشبيلي صاحب خزانة الاشربة والمعاجين وكان والده في خدمة يوسف وتوفي أبو يحيى بمراكش أيام المستنصر وجعل في موضعه في الخزانة ولده (طبقات الأطباء ص 79) .

أبو جعفر أحمد بن حسان الغرناطي طبيب المنصور وهو الذي رافق ابن جبير في رحلته ودفن بفاس وقد ألف للمنصور كتاب تدبير الصحة وكان ولده أبو العلا، طبيبا للمستنصر .

أبو محمد الشذوني الاشبيلي تلميذ عبد الملك بن زهر كان جيد العلاج وطبيب الناصر .

أبو الحسين بن اسيدون الملقب بالمصدوم تلميذ عبد الملك بن زهر كان دينيا شاعرا معتنيا بالطب يطلبه المنصور للعلاج (ص 79) وتلميذه عبد العزيز ابن مسلمة الباجي المعروف بابن الحفيد كان شاعرا وطيبا للمستنصر .

أبو جعفر بن الغزال طبيب المنصور الذي كان يعتمد عليه في تركيب الادوية والمعاجين .

أبو بكر بن القاضي بن الحسن الزهري تلميذ ابن رشد وطبيب أبي علي بن عبد المومن صاحب اشبيلية وكان يطب الناس من دون أجر .

محمد الندرومي (من ندرومة قرب تلمسان) الكومي (6) طبخته اخيرا كلية الآداب بالرباط

ولد عام 580 طبيب الناصر والمستنصر وهو الذي اختصر المستصفي للغزالي وهو تلميذ ابن رشد وابن موراطير وانتقل آخر حياته لخدمة بنسى هود ومنهم أبو جعفر أحمد بن سابق تلميذ ابن رشد وطبيب الناصر وابن الجلاء المرسى طبيب المنصور وأبو اسحاق ابن طملوس طبيب الناصر وأبو جعفر الذهبي طبيب المنصور والناصر توفي عام 600 عند غزو افريقية (ابن أبي أصيبعة ص 81) .

أبو اسحاق بن الحجر كبير أطباء الرشيد الموحدى (الذيل والتكملة) .

ومن الأطباء الذين عاشوا بالمغرب في هذا العصر : أحمد بن مضا اللخمي القرطبي لقي عياضا بسببته ومهر في الطب (الديباج لابن فرحون ص 65) .

ابراهيم بن صواف الحجري الشاطبي تعلم الطب وتصدى للعلاج بطنجة واستقر آخر عمره بفاس وتوفي في نحو 506 هـ (الجدوة ص 86) .

الطبيب أحمد بن عبد الله بن موسى القيسي الاشبيلي سكن مدينة فاس وتوفي بها عام 571 (الجدوة ص 70) وهو تلميذ أبي بكر بن العربي .

أبو الحسن علي بن احمد الشلطيبي الطبيب الشاعر استوطن مراكش وتوفي بها عام 565 أو 566 (الذيل والتكملة) .

علي بن عتيق الخزرجي نزيل فاس كان شاعرا ماهرا في الطب موفق العلاج (الذيل والتكملة) وقد حدث في بجاية وله تاليف توفي عام 598 هـ (الجدوة ص 306) .

أبو يحيى هانيء بن الحسن اللخمي الغرناطي له مشاركة في الحديث والاصول والطب تتلمذ لابن فرتون بفاس توفي عام 614 هـ (الجدوة ص 335) .

محمد بن أحمد بن صالح العبدى المغربى له نظر وعناية بصناعة الطب (عيون الانبا، لابن أبي أصيبعة 65) .

الطبيب الشاعر محمد بن قاسم الانصاري الجباني سكن بسطة وفاس واخذ عن علانها كآبى القاسم التجيبي (الجدوة ص 192) .

ومن العائلات التي توارثت الطب بالمغرب الكراميون السملاليون أحفاد أبي بكر بن العربي كما ورد في «بشارة الزائرين» لداود الكرامى ومعلوم أن الدادسيين يتوارثون طب العيون الى الآن وقد أشار ابن الزيات التادلى في «التشوف الى رجال التصوف» (مخطوط المكتبة الزبيدية بالرباط ص 130) (6) الى بنى افلاطون كأطباء بمدينة فاس في عصره والكتاب مصنف عام 617 هـ .

وقد رحل الى المشرق أطباء مغاربة منهم على بن يقظان السبتي الطبيب الشاعر الاديپ الذى توجه الى مصر عام 544 ثم الى اليمن والعراق (القفطى ص 160) وكذلك يوسف بن يحيى بن اسحاق السبتي أبو الحجاج نزيل حلب ويعرف فى سبته بابن سمعون كان طبيباً من أهل فاس وقرأ يوسف الحكمة ببلاده (أى سبته) فساد فيها (القفطى ص 256) وذكر لوكلير أنه كان طبيب ميمون أمير حلب وطبيب الملك الظاهر وصديقا للقفطى (ج 2 ص 193) .

أبو الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلي المعروف بالمغربى من أهل المرية أديب شاعر ذكر المقرئ نقلا عن العماد فى الخريدة أنه كان طبيب المارستان فى معسكر السلطان السلجوقى وقد سكن دمشق (النفج ج 1 ص 391) ثم ذكر (ج 2 ص 655) أن السلطان المشار اليه هو محمد بن شاه وان هذا المارستان كان ينقل على أربعين جملا وقد توفى بدمشق عام 549 هـ .

أبو جعفر عمر بن على القلعنى المغربى طبيب ماهر فى الادوية والامراض وعلاجها كتب ملاحظاته على كتب ابن سينا ولد بالمغرب وعاش فى دمشق حيث كان له دكان للعيادة توفى عام 576 هـ (لوكلير ج 2 ص 40) .

محمد القسانى الجليانى الحكيم الطبيب نزل بالمدرسة النظامية ببغداد عام 601 بعد مروره على القاهرة وسكنه بدمشق كان يقال له حكيم الزمان وكان يحضر عند السلطان صلاح الدين الايوبى (النفج ج 2 ص 645) .

ومعلوم أن صلاح الدين كان له خمسة عشر طبيبا الثلثان منهم يهود او نصارى (لوكلير ج 2 ص 3) .

موسى بن ميمون القرطبى الذى يعتقد اليهود انه لم يظهر عندهم مثله منذ موسى عليه السلام قرأ على أحد تلامذة ابن باجة ولم يتصل لا بابن باجة ولا بابن رشد وقد أظهر الاسلام الى أن بلغ الثلاثين وهو ابان دراسته وفى عام 1160 توجه مع عائلته الى فاس وبعد خمس سنوات نزل فى عكرة ثم مصر حيث استقر بالفسطاط وأصبح من أطباء البلاط أيام صلاح الدين وقد ذكر ابن ابى أصيبعة أنه مهر فى ممارسة الطب بينما أنكر ذلك القفطى وتبعه لوكلير (ج 2 ص 58) .

وقد ألف الرسالة الافضلية للملك الافضل نجلى صلاح الدين . أما المستشفيات فمما أنشأه أبو يوسف دار الفرج فى شرقى الجامع المكرم وهو مارستان المرضى يدخل العليل فيه فيعائين ما أعد فيه من المنازل والمياه والرياحسين والاطعمة الشهية والاشربة المفومة ويستطعمها رئيسها فتعشيه من حينه (الاستبصار فى عجائب الامصار) .

ووصف عبد الواحد المراكشى المستشفى الموحدى بمراكش فقال : « وبني بمراكش مارستان ما أظن أن فى الدنيا مثله وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع فى البلد وأمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه فاتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمية ما زاد على الاقتراح وأمر أن يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشحومات والمأكولات وأجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك فى وسط احداها رخام أبيض ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتى فوق النعت وأجرى له ثلاثين دينارا فى كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية وأقام فيه الصيدلة (7) لعمل الاشربة والادهان والاكحال وأعد فيه للمرضى ثيابا ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فذا نفع المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريشا يستقل وان كان غنيا دفع له ماله .. ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كان ميسر مرضى بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى أن يستريح أو يموت وكان فى كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله

(7) ذكر البيرونى المعروف عند الاوربيين بـ Maitre Aliboron فى مقدمة كتاب الصيدلة فى الطب ان لفظة الصيدنة بالنون أكثر اشتهارا من الصيدلة باللام (ماكس مايرهوف - نشرة المعهد المصرى ج 22 عام 1940) .

يعود المرضى ... ولم يزل مستمرا على هذا الى ان مات
(المعجب ص 177) .

وذكر مي في كتابه (الموحدون) المؤلف عام 1923 (ص 129) ان هذا المستشفى لا يخلف وراءه مصحات أوربا المسيحية فحسب بل تخلل منه حتى اليوم مستشفيات باريس . (Millet = les Almohades)

وذكر الناصري أن يعقوب المنصور بنى المارستانات للمرضى والمجانين وأجرى عليهم الاتفاق في جميع أعماله .

وأبو يوسف المريني هو الذي صنع المارستانات في جنوب المغرب للغرباء والمجانين وأجرى عليها النفقات وجميع ما يحتاجون اليه من الاغذية وما يشتهرونه من الفواكه وأمر الاطباء بتفقد أحوالهم في أمورهم ومدادواتهم وما يصلح أحوالهم (الذخيرة السنية ص 100) ولم تكد تخلو مدينة من مازستان حتى ذكر مازمول أن شالة نفسها كان بها مستشفى (وصف افريقيا باريس 1667 - ج 2 ص 24) .

وقد لوحظ نفس الازدهار في افريقية التي انبسط عليها نفوذ الميرينيين . فقد نقل لوكليز عن شيربرنو أن الطب الذي ازدهر ازدهارا عابرا بالقيروان في القرن الرابع قد تآلق نجمه في بجاية في بعض أيام الحفصيين خلال القرن السابع (ج 2 ص 252) وأشار الى ثمانية من الاطباء من جملتهم أبو العباس أحمد الاصبغاني طبيب اصبهان الذي قضى آخر حياته الطبية بالمغرب . ومن نبغ في افريقية في عهد أبي الحسن الطبيب

التونسي محمد القويح الذي درس الطب بالبيمارستان في دمشق وتوفي عام 738 هـ (النيل 228) .

على أن الطب كان في افريقية - كما كان في المغرب - مشاعا بين طبقة وافرة من الفقهاء والمحدثين والادباء . فهذا مثلا الامام السنوسي سارح البخاري له شرح على رجز ابن سينا في الطب وله شرح كبير على الطوقية في الفرائض والحساب ألفه وهو ابن تسعة عشر عاما (النيل ص 353) .

وفي خصوص فاس ذكر علي بن ميمون في تأليف له استطرد فيه الكلام على فاس أنه ما رأى مثلها ومثل علمائها في حفظ نصوص كل علم مثل النحو والفرائض والحساب والمنطق والتوحيد والبيان والطب وسائر العلوم العقلية .. ما رأى مثلها ومثل علمائها فيما ذكر في المغرب وتلمسان وبجاية وتونس والشام والحجاز ومصر رأى ذلك كله بالمشاهدة (سلوة الانفاس ج 1 ص 74) .

غير أن ابن خلدون أكد أنه لم يشاهد في المائة الثامنة من سلك طريق النظار بفاس لاجل انقطاع ملكة التعليم عنهم (نشر الثاني ج 2 ص 97) .

ولكن حوالي 620 هـ اي بعد مرور بضع سنوات على ظهور الميرينيين (عام 613 هـ) تحدث المراكشي صاحب المعجب عن فاس فذكر انها حاضرة المغرب وموضع العلم منه اجتمع فيها علم القيروان وعلم قرطبة حيث رحل علماء المدينتين ونزل أكثرهم بفاس «ومما زلت أسمع المشايخ يدعونها بغداد المغرب» (ص 220) .. (8)

(8) أكد ليفي بروفنسال (أنه بفضل ملوك بني مرين لم تكن عاصمة فاس في القرن الرابع عشر الميلادي لتحتد المواسم الاسلامية الاخرى) (مسبريس عام 1952 ص 3) . وقد اعتبرت فاس من طرف باديا ليلبيش المعروف بعلي باي العباسي بمثابة أثينة افريقيا ومعلوم أن أثينة هي عاصمة الفكر اليوناني كما وصف دلفان في كتابه عن القرويين جامعة فاس بانها أول مدرسة في الدنيا (ص 12) . وذكر الدكتور ريفو أن مدينة فاس « مهد الحضارة التي تجلب العلماء والطلبة من العالم أجمع وهي عاصمة أثينة بالنسبة للاسلام حيث كانت تدرس جميع العلوم والفنون والآداب » (الطب القديم بالمغرب ص 77) . وتحدث دوكامبو عن جامعة القرويين فلاحظ « أنها كانت في العصور الوسطى ملتقى الاجانب من مختلف الجنسيات والاديان » (المغرب المعاصر مملكة تنهار - باريس 1886 ص 12)

وقد أشار كابريال شارمس في كتابه « سفارة الى المغرب » (ص 254) الى عصر المجد الذي كان المغرب فيه ملتقى جميع العلوم وجميع الفنون التي تنتشر من هناك في أوربا . ثم ذكر مدينة فاس التي يرى معظم مسلمي افريقيا انها أعظم مدينة مقدسة بعد مكة نظرا لاصلها وللدور الذي قامت به في تاريخ الاسلام فقد كانت فاس مركز القوة العربية عندما كان نورها يتألق وحتى عندما أصبحت مراكش عاصمة المغرب السياسية كانت فاس بفضل معاهدها الشهيرة ومساجدها عاصمة الغرب الاسلامي فكريا وأدبيا بل « ان مدارسها كانت طوال مدة مديدة أولى مدارس العالم » (ص 297) وهنا في هذه المدينة « انبثق ما يسمى بالحضارة الغربية التي أشع نورها في اسبانيا فاضاء جوانب أوربا المتوحشة » (ص 298) .

وذكر لوكلير انه منذ اندراس اعلام التدريس فسي قرطبة والقيروان لم يكن لغاض ولا لباقي مدن المغرب أى نظام مقبول فى التعليم (ج I ص 575) .

وقد أكد زينو ان علم الطب كان يدرس فى جامعة القرويين بواسطة كتب ابقراط وجالينوس وديجينوس المعربة الا أن كتب خزانة القرويين اندرس بعضها على يد الاسبان عام 1161 م ولم تعد تدرس العلوم والطب رسميا اللهم الا ما كان من دروس ينفقها (أطباء) فى جوامع العاصمة او بعض زوايا المدن الاخرى (9) حيث يعلقون على المصنفات العربية المخطوطة او المطبوعة الموجودة فى الطب بالمغرب محافظين بذلك على ما يعرفونه من الطب التطبيقي .

والشريف الادريسي مغربي صميم خلفا للحسن الوزان وهو (ليون الافريقي) الذى يزعم أنه ولد فى صقلية (لوكلير ج 2 ص 65) وقد وهم الوزان حين ذكر انه مات عام 1122 فى حين انه انتهى من تأليف النزهة عام 1154 (اى 548 هـ) وذكر الوزان انه ترك عدة اولاد يعيش عقبهم بتونس وفاس حيث يظهر من بينهم دائما أطباء ومن جملة هؤلاء أحمد بن عبد السلام الصقلي الذى ألف كتابا فى الطب ويوجد مخطوط منه فى مكتبة ليد وقد عاش فى تونس فى عهد السلطان العالم أبى فارس الذى أسس خزانة عمومية قرب الجامع وتوفى عام 837 هـ (لوكلير ج 2 ص 70) .

وقد ظهر فى العصر المريني بالمغرب أطباء منهم : أبو العباس الشريشى السلوى الاصل أخذ الطب فى المشرق عن ابن بنان توفى بالقيوم من مصر عام 641 هـ (الاعلام لعباس المراكشى ج I ص 351) .

محمد بن احمد بن خليل السكوني ذكر صاحب الذيل والتكملة انه صنف فى الطب والبيطرة وصنعة زكوب الخيل وتدريب الحروب وتعليم الثقاف والرمى وسمات الخيل ودلائل العتاقة وجمع بين كتابى أبى مروان بن زهر وابنه أبى بكر فى الاغذية وأضاف اليهما فصل الخواص والكلية الواقعة فى تيسير ابن زهر وهو اشبيلي أقام بمراكش متلبسا بعقد

الشروط توفى سنة 646 هـ (الاعلام ج 3 ص 145) .

أحمد بن على الملياني المراكشى كاتب شاعر أخذ بحظ من الطب توفى عام 715 (الجزوة ص 73) وكان صاحب العلامة بالمغرب (الاعلام ج I ص 373) .

الطبيب أحمد الجذامى نشأ فى سبتة بمراكش عام 650 (الاعلام ج I ص 354) .

أبو جمعة على الجرائحي كان فسي سجن السلطان يوسف بن عبد الحق مع غيره من التلمسانيين . ومنهم أيضا ابن البنا الأزدي المراكشى المتوفى عام 721 أخذ الطب عن الحكيم المعروف بالريخ (الجزوة ص 76) .

وأكد زينو فى كتابه « الطب القديم بالمغرب » انه بعد عصر بنى مرين سادت فى المغرب الفوضى فأفل نجم فاس ابان السعديين ولم يذكر اى طبيب مغربي فى المصنفات الكلاسيكية خلال هذه الحقبة من تاريخ المغرب الى آخر القرن الثامن عشر حيث لوحظ اسم مصنف «ذهب الكسوف» الطبيب محمد بن عزوز المراكشى الذى اقتبس فصل طب العيون من الكحال المشرقي على بن عيسى (الطب القديم بالمغرب ص 75) .

ولكن زينو هذا عاد فأكد فى الخطاب الذى القاه فى المؤتمر الدولى الخامس لتاريخ الطب (طبعة جنيف 1926 ص 3) الفوضى التى أقحمت فيها حروب آخر ملوك بنى مرين فأعاد ملوك الشرفاء تدريجيا وحدة البلاد وقد تحدث ليفى بروفنصال فى كتابه « مؤرخو الشرفاء » عن نهضة المغرب من الوجهة الادبية فأكد أن من الغريب أن لا نجد مثل هذه النهضة فى العلوم الطبية .

ومن نبغ من الاطباء فى هذا العصر عبد الرحمن سقين القصيرى ثم الفاسى المحدث كان مشاركا فى الادب والتصوف والطب يقرى الفية ابن سينا توفى عام 956 هـ (النيل ص 153) وكذلك أبو القاسم الوزير الفسائى له فى الطب موضوعات وشرح على حيايات ابن عزرون وكتاب فى الاعشاب اختص من بين الاطباء بسلامة الاعتقاد ولا حوالى 960 هـ (الدرة 466) .

(9) وورد فى الجزء الاول من سلسلة « مدن المغرب وقبائله » المتعلق بالرباط وناحيته (ص 32 و 225) أن البوعفانية بسلا كانت مدرسة للطب ونقل ذلك عن الاستقصا غير أن الاستقصا لم يتعرض لذلك عندما اشار الى هذه المدرسة (ج 2 ص 151) كما أشار نفس المصدر الى عمر بن عريبة أستاذ الطب فى العهد العلوي .

وأكد القادري ان له مهارة في الطب وكان من أطباء السلطان أحمد المنصور الذهبي وأحد خواصه ألف كتباً في الطب منها شرح نظم ابن عزرون في الحميات و « حديقة الازهار في شرح ماهية العشب والعقار » واختصره في جزء صغير وقد ألفه للسلطان المذكور عام 994 هـ (النشر ج 2 ص 125) .

وتوجد في المكتبة الوطنية بالرباط نسخة من « الروض المكنون في شرح رجز ابن عزرون » للفساني في 130 ورقة كما يوجد فيها شرح لنفس الأرجوزة لابي الفضل محمد العجلاني في 18 ورقة .

وكانت مكتبة الفرع الاجتماعي بطنجة تحتوى على نسخة مخطوطة بخط المؤلف من كتاب الروض المكنون في شرح رجز ابن عزرون (أى أبى موسى هارون ابن اسحاق بن عزرون) حول الحميات والقروح وقد كتب هذا المخطوط لخزانة الامير محمد الشيخ المامون وهو مؤرخ ب 18 جمادى الثانية عام 999 هـ . وتوجد شروح أخرى لنفس الرجز منها شرح لابي القاسم محمد ابن يحيى اللمتوني التاشفينى ورجز ابن عزرون نفسه تكميل لارجوزة ابن سينا في الطب والخط الذى أسهم به الطبيب المغربى في هذا الشرح هو تعريف المغاربة بنظريات الاقدمين وأطباء العرب فى مختلف أنواع الحميات وهو يحتوى على معلومات تكميلية مفيدة فى العلاج .

أما حديقة الازهار فى شرح ماهية العشب والعقار فقد تم تأليفه فى عام 994 هـ وتوجد نسخة منه فى المكتبة الوطنية بالرباط فى 31 ورقة .

وقد نشر الدكتور رينو فى نشرة معهد الدروس المغربية العليا (ج 18 ص 195) دراسة حول حديقة الازهار ذكر فيها ان هذا الكتاب يمتاز بمنهاجه الواضح جدا فى الوصف النباتى الذى يتسم غالبا بطابع من الاصاله والطرافة وقلما يخلو الكتاب من الاشارة الى منابت الاعشاب التى توجد بالقرب من فاس وبذلك يزودنا بمعلومات ثمينه حول معظم السواد الصيدلية بفاس فهى اذن محاولة مفيدة لترتيب ثلاثى يدخل عنصرا جديدا فى وصف أعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية .

ومن أطباء هذا العصر كذلك :

عبد الوهاب الزقاق الذى كانت له مشاركة فى الادب والاصلين والطب والتفسير والحديث والنحو والى القضاء والفتوى بفاس (توفى عام 961 هـ) .

طبيب المنصور أبو عبد الله محمد الطيب (نزهة الحادى طبعه هوداس ص 146) وهو الحكيم الماهر أبو عبد الله محمد الطيب الذى أشار له عباس بن ابراهيم فى ترجمة النابغة محمد بن على الهوزالى شاعر المنصور السعدى بمناسبة مرضه واختلال أمره وعلاج الطبيب المذكور اياه .

محمد الاندلسى نزيل مراكش كان مولعا بالكيمياء والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة سجن مرتين بعد أن صدرت عنه مقالات شنيعة وأصحابه هم طائفة الحمديّة الذين يسمون من خالفهم بالمالكية قتل عام 980 هـ (الاعلام ج 4 ص 318) .

داود بن عبد الله البغدادي ثم التلمساني الطبيب الماهر كان ضريرا لقيه ابن القاضي فى مصر عام 986 ومعرفته بالطب عظيمة (درة الحجال ص 143) .

عبد الواحد بن عاشر له معرفة بالطب (توفى عام 1040 هـ) .

أحمد بن عبد الحميد المعروف بالمريد المراكشى ذكر صاحب الصفوة أنه كان اماما فى جيبس الفنون حكيما ماهرا فى الطب توفى عام 1048 هـ (الاعلام لابن ابراهيم ج 2 ص 114) .

وممن لهم مؤلفات فى الطب من السوسيين حسين الشوشاوى الراسلواى من أهل القرن التاسع (سوس العالمة للاستاذ الكبير السيد المختار السوسى) .

وكان الطب التقليدى يجرى مع ذلك مجراه الى جانب الطب العلمى التجريبيّ الذى كان يحمل رايته بعض العلماء وهى ظاهرة لا تزال توجد الى الآن فى المغرب وحتى فى بعض الامم الراقية التى تستند عائلاتها الى تجارب العجائز وقد مرض ولد الكاتب محمد بن على الفشتالى ولم ينجع فيه دواء طبيب فقال له المنصور : «ان امراض الصبيان قلما ينجع فيها الا طب العجائز ولا كعجائز دارنا فابعث من يسألهم» (الاستقصا ج 3 ص 95) .

ومن الاطباء الغربيين المولودين بالمغرب كريسطوف

داكوسطا الطبيب النياتي الذي ولد في سبتة ثم جال في آسيا عام 1578 م (كودار ص 495) .

ويدل على عقم الصيدلة نسيبا في هذه الآونة ما لاحظته الحسن الوزان من أن العقاقيرين بفاس في عصره لم يكونوا قادرين على تركيب الاشربة والادهان طبعا لما يصغه الاطباء فكانوا يجتمعون كلهم لتركيبها ثم يرسلونها الى دكاكينهم لتوزيعها حسب الوصفات غير أن هذه الظاهرة الجديدة تنم عن أمانة وإخلاص للمهنة وهو شيء مهم جدا اما المستشفيات فقد استمرت في اطارها القديم وأضيف اليها مارستانات قليلة جدا منها ما ذكره اليفرنى من أنه في عام 970 أنشأ السلطان الغالب بالله بمراكش مع جامع الاشراف بالمواسين والسقاية المارستان الذي ظهر نفعه ووقف عليه أوقافا عظيمة ، وعلق الناصري على ذلك فلاحظ أن هذا المارستان هو الذي بحومة الطالعة قرب السجن وقد اتخذ سجننا للنساء (الاستقصاء ج 3 ص 18) .

كما بنى السعديون للناصري المسيحيين - حسب رواية السفير الانجليزى آدمون هو كان مستشفى قرب أحد جوامع مراكش .

والذي يدل على استمرار الاهتمام بالمارستانات أن الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي والذي تخرج من جامعة القرويين قد تولى خطة العدالة في مراكش المجانيين بفاس حيث قضى أربع سنوات كما حكى عن نفسه (ماسينيون : المغرب أول القرن السادس عشر ص 43) .

وفي منتصف القرن الرابع عشر أسس الرهبان الاسبان في فاس ومكناس وسلا وتطوان مستشفيات كانوا يعالجون فيها النصارى والمغاربة معا (رينو 27) .

ورغم ما استظهره رينو من أن التعليم الرسمي للطب والعلوم اندرس بجامعة القرويين أواخر القرن الماضي (الطب القديم بالمغرب ص 77) فإن دلفان أشار في كتابه حول فاس وجامعتها (المطبوع عام 1889) الى اعتناء الطلبة بجملة من الكتب الطبية مثل الكامل للرازي والقانون والمنظومة لابن سينا وزبدة الطب للجرجاني والتذكرة للسويدي وتذكرة الانطاكي وكليات ابن رشد ومفردات ابن البيطار وكشف الرموز للجراثرى ابن حمادوش وهو عبد الرزاق بن محمد بن محمد بن حمادوش الجزائري حج عام 1130 هـ وأهم

مؤلفاته « كشف الرموز في شرح العقاقير والاعشاب » مرتبة على الحروف (تحتوى على نحو الالف عشبة) وهو ينقل عن ابن سينا وابن البيطار والانطاكي وله أيضا « تعديل المزاج بحسب قوانين العلاج » (نحو العشرين صحيفة) .

ولتعايطي-الطب في المغرب رغبة في كتابي داود الانطاكي التذكرة والنزهة وقد انتقدتهما القادري في نشر المثاني ملاحظا ان الانطاكي اودعها غشا وسمينا والنزهة في نظره أكثر تحريرا واسلم ايرادا (ج 2 ص 123) وتوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط نسخة مخطوطة من «النزهة المبهجة في تشخيص الازهات وتعديل الامزجة» للانطاكي في 190 ورقة .

وقد تضاربت آراء المستشرقين في قيمة الطب بالمغرب في هذا العصر فهذا اركمان يقول في المغرب الحديث عام 1885 (ص 97) بأن الاطباء لا وجود لهم بالمغرب وأن الطب تمارسه العجائز والحجامون الذين يعرفون الفصد وجبر الاعضاء المكسورة او الطلبة الذين قضوا بضعة شهور في اوربا وحملوا معهم ادوية يسيئون استعمالها دون ان يعرفوا بالضبط الكمية الصالحة منها للعلاج .

ولكن رينو الذي يقول ايضا بأن المتطببين المغاربة ليست لهم سوى معلومات غامضة حول اسباب الامراض وخواص الادوية المفردة يعترف بانهم يطبقون بهارة غالبا بعض عمليات التشريح الصغرى (ص 128) .

وقد تحدث رينو عن اهتمام الاطباء عندنا بالتشريح والعمليات الجراحية فلاحظ ان هذه العمليات لا تتمخض في الغالب عن ذبول خطيرة لندرة الاستعصاءات الناتجة عن التعفن او الاصداد والتقييح ويستعمل الاطباء المغاربة في تضخيد القروح الزيت الغليان أو القطران الساخن والحناء والفحم وصمغ الصنوبر لاستئصال جراثيم التعفن (ص 132) وعند حدوث نزيف يستعملون لايقاف الدم الصوفان والمساحيق المستخلصة من اليقطين (القرع الصغيرة) ودقيق الفول واللفافات للضغط فاذا أغياهم الامر حاولوا الالتئام بخياطة حافتي الجرح في شكل منحرف ويلجأون كذلك الى كي العرق اما بقضيب محمي واما بقطعة من خشب محماة ثم يضغط الجرح بالجاوي ويحكي أن القروح تلتئم في حاحا والسوس لا بالخياطة ولكن عن طريق غصة النمل الكبير لحافتي

الجرح بحيث يقطع صدر البعوضة ويبقى الفكك عالقين بالقصر .

أما في جبر الأعضاء المنكسرة فإن الأطباء المغاربة يعمدون إلى طريقة الدلك الذي سبق به المغاربة - كما يقول رينو - اكتشاف لو كاس شامبيونيير وكثيرا ما يعطى الطبيب لمن كسرت عظامه إيلان وهو حب يكثُر في ناحية مراكش غنى بمادتي الفوسفات وكاربونات الجير ويوقف داء الفتق بالآلات من جلد أو ثوب محشو بالصوف أما الكئي فإنه مستعمل في جميع الأمراض الباطنة وفي كثير من العمليات الجراحية (ص 134) .

وتقلع الأسنان المسوسة بأدوات خاصة ذكر رينو منها مجموعة بعضها مصنوع في المغرب وبعضها مجلوب من أوروبا ومن الأطباء من يضمخ السن بمركب من الثوم والملح والحريف (وهو الفجل الرخشي أو الحرف) ثم يملأون السن المسوسة بجذر جوز ريان بعد غمسه في اللبن ويغطي الكل بالصمغ (135) .

وتدأوى أمراض الأذن بالجاري والزعفران والزيت وعصير ناب الذئب أما القروح فإنها كثيرا ما تدأوى بالعمليات الجراحية في الأذن وهي عمليات خطيرة تكلل بالنجاح بسبب قلة القيح .

أما العيون فإن أمراضها تشكل مع الزهري ثلثي أمراض إفريقيا الشمالية فما أكثر العميان بالمغرب غير أن للكحالين أي أطباء العيون المغاربة أساليب مفيدة لمعالجة أنواع الرمد ولهم فيه مهارة وكذلك في الجوائر (ص 136) ويستطيعون أن يزيلوا بحذق غشاوة العين المانعة من الإبصار بل يتقنون عمليات أصعب من هذه (ص 136) .

أما في التوليد فقد توصل الأطباء - لا سيما في مراكش والدار البيضاء - إلى إجراء عمليات جراحية لإخراج الجنين (ص 138) .

وذكر الضعيف في تاريخه أن امرأة جسيمة مرضت بمكناس عام 1101 هـ وفشق طبيب جوفها وأخرج منه علة وجد فيها 35 رطلا وعاشت المرأة بعد ذلك سنين .

وذكر كودار في (وصف المغرب وتاريخه) (ج 1 ص 238) أن الكئي هو أعظم دواء للجراحات بالمغرب والجزائر وأن هذه العملية أسفرت غالبا عن نتائج عجيبة فقد أجريت لجرحى عرب أراد جراحون فرنسيون قطع

عضوهم المجروح ولكنهم عولجوا بواسطة حديدة محماة .

أما تبنيج المريض أثناء العمليات الجراحية فقد أكد رينو أن الأطباء المغاربة كانوا يستعملون السيكران وهو عشب مخدر وكذلك جوز الطيب في عملية الختان وقد حكى له الطبيب الجراح الحسن أنه توصل إلى تركيب دواء السيكران والكبريت وغيرهما يكون البخار المتصاعد من طبخه بمثابة مخدر يستمر تأثيره أربعين وعشرين ساعة وذكر الدكتور ميكيريز في كتابه الأخبار الصادر عام 1859 بالجزائر أن الأطباء المغاربة كانوا يستخدمون وسائل الإيحاء والتنويم في معالجة مرضاهم وإجراء عمليات جراحية لهم بحيث يتوصلون إلى درجات شتى من التنويم ولا تختلف هذه المناهج عن الأساليب المستعملة عند الأوربيين ومنها تطبيق زجاجة لامة مثلا أمام المريض فينام بينما المباخر ترسل روائح العطر والعود (رينو ص 131) .

وقد وصف كودار كذلك في تاريخ المغرب (ج 1 ص 240) عمليات التنويم التي أشار إليها الدكتور ميكيريز منها وضع زجاجة فوق طاولة مغطاة بخوان أبيض يتلألأ وراءها مصباح فيجلس المريض على مسافة قريبة مصوبا نظره نحو الضوء فيشعر بتثاقل وبعد بضع دقائق ينام وتتسارع دقات قلبه ويحرق البخور في الغرفة فيفقد النائم إحساسه .

وذكر رينو أن بعض الأطباء المغاربة كانوا متخصصين بعضهم في الإوجاع وبعضهم في أمراض العيون وبعضهم في الحميات أما أطباء الأسنان فإنهم يمارسون هذا الفن - في نظر رينو - بمهارة كبرى (ص 122) .

وكثيرا ما تستعمل أعضاء بعض الحيوانات لمعالجة الأمراض وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في أوروبا (رينو ص 155) ولا يجهل المغاربة جدوى اللحوم المطبوخة وقد أشار الشيخ عبد الرزاق صاحب كشف الرموز إلى خواص بعض أعضاء الحيوانات منها معالجة داء الكلب بمشقال (غرام) من كلية الكلب العقور بمجرد قتله ويؤيد هذا النوع من العلاج ما ذكره رينو (ص 157) من أن الدكتور فرانتزان نشر بحثا في « الأسبوع الطبي » (14 مايه 1898) ذكر فيه أن مرارة الكلب العقور تحتوى على مادة مضادة لجراثيم داء الكلب .

ويستعمل الكحالون المغاربة أعضاء حيوانية خاصة في أمراض العيون من ذلك مستخلص الكبس والاكياس

التي توجد فوق الكليتين والتي استعملها أيضا باطيس في نيويورك ضد التهاب القرنية والملتحمة وكذلك ضور في ليون ودرابي في باريس (رينو ص 160) .

ونشر بنسيمون بحثا حول الطب والاطباء بالمغرب قبل الحماية في مجلة المغرب الطبي (سنتمبر 1951) ذكر فيه أنه يجب أن نلاحظ أن الطب البدائي التقليدي بالمغرب كان يستعمل في عدة حالات أنواعا من العلاج لم يعد نزاع في جدواها فمن ذلك أن المريض المصاب بالحصبة أى الحميرة (بوحمرون) كان يجعل في غرفة يكسى فراشها وجدرانها وأغطيتها بلون أحمر وهذه الطريقة في العلاج لا يزال يستعملها الدكتور شاطينيير الذي لاحظ أن لها يرجع الفضل في تخفيف تفجر الحميرة والحمى وتدارك الاستعصاءات .

وقد لاحظ رينو بمزيد الدقة استعمال المغاربة للتلقيح ضد مرض منتشر عند المعز يعرف بالبيصور وهناك أمراض مجهولة في المغرب مثل الكزار (تيتانوس) .

وكثير من الامراض المنتشرة في أوروبا غير معروفة بالمغرب ولا في الجزائر منها الحمى الوبائية المصحوبة بحبوب صغيرة والحمى الحصبية بينما تقل جدا الاصابات بالدفترية او التيفويد (رينو ص 140) .

وقد أصدر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن ظهيرا خاصا في 10 رجب 1283 الموافق 18 نوفمبر 1866 جعلت بمقتضاه جزيرة الصويرة محجرا صحيا للحجاج .

وكانت توجد في كافة مدن المغرب لجنة صحية تتركب من أعيان يهتمون بكل ما يتصل بالصحة العمومية وطهارة المدينة وتموين الاسواق وجلب الماء ومن مثلها المحتسب الذي يسهر على النظام وتنقية الازقة وتمهد المؤسسات العمومية وكان المخزن يقوم بتطهير بعض الازقة والشوارع خلال الليل وقد حاول في الصويرة مثلا تنظيم نقل الازبال فجنب من الخارج أول القرن الحالي كناسات وزشاشات ميكانيكية .

فمنذ 1614 م الى الآن أى طوال ثلاثة قرون لم يقع القطع بالمغرب سوى ثماني مرات أى مرة كل خمس وثلاثين سنة تقريبا في حين توالى المجاعة بين 867 و 1325 ست عشرة مرة (رينو ص 76) .

وكان المخزن يتخذ الاجراءات اللازمة للحيلولة دون انتشار الوباء من الخارج بفضل المحاجر الصحية وفي الداخل بفضل الحصار الضيق الذي يضرب أيام الخطر ففي عام 1089 هـ عندما ظهر الطاعون بمكناس والقصر وقف الحراس من العبيد على مشرع سبو وغيره لايتحركون من يرد على فاس ومكناسة وعلى دائرة الملك وقد ظهر بفاس فأمر السلطان بتحريق ما بسوق الخميس (نشر المثانو ج 2 ص 44) .

اما الاطباء الذين نبغوا في هذا العصر فهم :
الطبيب الشاعر «عبد الوهاب ابن احمد أذراق» الذي انتهت اليه رئاسة الطب وقصرت عليه نفاسته له أنظام كثيرة في الطب وتأليف منها أرجوزة في الطب ذيل بها أرجوزة ابن سينا وأرجوزة في حب الفرنج وكتاب هن السميري فيمن نفى عيب الجندى وتعليق على النزعة للشيخ داود وهو طبيب مولاي اسماعيل توفي عام 1070 هـ (النشر ج 2 ص 251)

وكان لمحمد بن سعيد المرغشي دراية في علم الطب ثم تركه بسبب «أن انسانا أتى بالهراقة فيها بول وأدخلها عليه في المسجد فقال ان علما يؤدي الى أن أكون سببا لدخول المسجد بالنجاسة لا اشتغل به وقد كان مقصودا به قبل ذلك» (توفي عام 1089) (النشر ج 2 ص 37) .

الطبيب الماهر أبو عبد الله أذراق السوسي الفاسي المتوفى عام 1090 هـ.عالج من غير تقدم معرفة ثم تدرّب وانتفع به خلق كثير وقد ذكر صاحب نشر المثاني أن أقاربه هم المنتصبون في عصره بفاس للعلاج ولهم مهارة وذوق سليم في الطب ويتحفظون من العلاج بالمخطر من العقاقير والادوية والامور الشاقة ولم نسمع عن أحد أصابته آفة من علاجهم (ج 1 ص 226) .

أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي كان منفردا بتحقيق التعاليم من هيئة وطب فاق أهل وقته في ذلك توفي عام 1096 هـ (السلوة ج 1 ص 316) .

ويحتوى كتابه الاقنوم في مبادئ العلوم على 281 سلا منظوما سرد فيها العلوم المعروفة في عصره والعل في نظره شعبة من شعب المعرفة الانسانية وقد أفرد الفصلين السادس والعشرين والسابع والعشرين للطب فتحدث عن عمليات التشريح الصغرى وعن فن العلاج

عبد المجيد الزبادى المنالى الفاسى كانت له مهارة
فى الطب والعلاج وكان شاعرا توفي عام 1163 هـ .

أحمد أدراق طبيب سيدى محمد بن عبد الله وهو
من ذرية الحكيم عبد الوهاب طبيب مولاى اسماعيل (II)
وسليمان الفشتالى قاضى فاس كان متوغلا فى
العلوم القديمة على طريق أهل الحكمة أخذ عنه مولانا
سليمان الحوات الحساب والطب توفي عام 1208 هـ .
(السلوة 3 ص 116) .

أحمد بن محمد الكرودى كان له ولوع بالطب
معتكفا عليه حتى انه من كثرة انكبابه على التذكرة قيد
عليها حواشى كثيرة صحب المعطى الشاوى فى سفارته
الحسنية لفرنسا والنائب الرئيس فى السفارة الى البابا
ليون الثالث عشر عام 1888 بمناسبة بلوغه خمسين
سنة وعبد الصادق الريفى لاسبانيا عام 1302 ألف
فيها « التحفة السنية للحضرة الشريفة الحسنية بالملكة
الاصبنيولية» توفي عام 1318 (الاعلام ج 2 ص 253) .

أحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج الذى تحدث
عنه رينو (الخطاب ص 8) كانموذج أخير للطبيب والعالم
العربى الكامل وله مؤلف اسمه الدرر الطبية المهداة
للحضرة الحسنية فى ثلاثة أجزاء (يوجد الجزء الاول
فى المكتبة الوطنية بالرباط فى 402 صحيفة) والقسم
الاول من الجزء الاول خاص ببداىء الطب والطبائع
والثانى فى ضروريات الحياة (الهواء والاغذية والاشربة)
والثالث فى الادوية المفردة والجزء الثانى فى الامراض
وطرق علاجها والثالث فى الخواص الطبية لبعض الاسماء.
وقد ذكر رينو أن ابن الحاج يعطينا للمرة الاولى فى
تاريخ المغرب تقسيما فنيا للادوية وقد توفي عام 1316 هـ
(الاعلام ج 2 ص 246) .

محمد فتاح غريط الكاتب الطبيب الماهر (الاعلام ج
5 ص 313) وهو غير غريط الوزير (ص 320) .

ابراهيم بن أبى سعيد العلوى المغربىي تحدث حاجى
خليفة عن كتابه تقويم المفردات (رقم 3490) وعصر
حياته مجهول .

وتحدث فى الفصل الاربعين عن البيطرة وفى الفصل
الحادى والاربعين عن علم الزردقة وهو طب الحيوان
وفى الفصل 19 الى 201 عن الصيدلة (10)
ويوجد مخطوط من الاقنوم فى مجلدين بمكتبة
الرباط . وقد أشار ابن شنب فى الاجازة الى رجز فى
الطب من نظم عبد الرحمن الفاسى . كما ذكروا لنفس
المؤلف كتابا فى (تفسير الاعشاب) .

عبد القادر بن شقرون المكناسى معاصر مولاى
اسماعيل وقد نقل عنه محمد الطيب العلمى فى الانيس
الطرب فيمن لقي من ادباء المغرب فوائده طيبة ومن
مؤلفاته الارجوزة الشقرونية المؤلفة بطلب من سيدى
صالح بن المعطى الشرقى (السلوة ج 1 ص 97) وهى
تحتوى على 700 بيت وطبعت بفاس عام 1324 هـ . كما

طبعت بتونس فى نفس الوقت وقد ذكر رينو فى
خطابه المطبوع عام 1926 بعدما حلل مواضيع الشقرونية
انها لا تخلو من فوائده وانها اسهام لا بأس به من
المؤلف فى المصطلحات الفنية فى قاموس الطب المغربى
(ص 5) وتوجد نسخة منها فى مكتبة الرباط فى 667
بيتا .

أحمد العطار المراكشى ذكر صاحب الصفوة انه
عرض عليه القضاء فامتنع وكان عازفا بالطب خبيرا
برجز ابن سينا فيه وقال ابن زاكور الفاسى يطلب منه
قراءة أرجوزة ابن سينا :

ما ذا على العطار لو اهدى لنا

نفحاته من جونة الارجوزة

توفى عام 1105 هـ (الاعلام ج 2 ص 124) .

محمد بن قاسم بن عبد الواحد ابن أحمد بن زاكور
الفاسى المحدث المؤرخ الاصولى له أرجوزة مثل المتنوع
فى فنه والدرة المكنوزة فى تذييل الارجوزة يعنى أرجوزة
ابن سينا فى الطب توفي عام 1120 هـ (السلوة ج 3
ص 180) .

أحمد بن محمد السملالى الجزولى كان عازفا بالطب
أخذ عن الحكيم عبد الله بن بيورك الاسفركيسى توفى
عام 1152 هـ (الاعلام ج 2 ص 181) .

(10) علم أعمار العقار وابدالها وقوى العقاقير وعلم الاقرباذين (ج 2 من المجلدين الموجودين بمكتبة الرباط) .
(II) جوزيف كاسطيل الفرنسى أصله من تولوز كان طبيبا جراحيا فى احدى البواخر التابعة للشركة الهندية
فأسر ونقل الى سلا ثم الى مكناس وأصبح جراحا فى جيش مولاى اسماعيل (رحلة مويط ص 126) .

وذكر رينو انه لقي بالصورة طبيباً يسمى الحاج الحسن قام بعملية جراحية شرح فيها صدر أحد المرضى (ص 122) .

عبد السلام العلمي كان من حاشية سيدى محمد ابن عبد الرحمن ومولاي الحسن الذى بعثه لدراسة الطب بالقاهرة وله كتاب سماه ضياء النبراس وورد فيه أسماء أساتذة المسلمين والأجانب فى الاسبطالية الكبرى بالقصر العيني الذى أسسه عام 1827 الدكتور كلوط (كلوطباى) . بأمر من الخديوى محمد على (خطاب رينو ص 6) وقد ذكر الطبيب المغربى فى كتابه النبراس انه عندما كان طالباً فى مصر عام 1291 هـ (الضياء ص 59) فكر فى تأليف كتاب موسوم بالاسرار المحكمة فى حل رموز الكتب المترجمة لتفسير المصطلحات الفنية فى العلوم المصرية الدخيلة فى العربية وأنه اقتصر وقتاً على تصنيف مختصر لشرح تذكرة داود الانطاكى وهو ضياء النبراس فى حل مفردات الانطاكى بلغة فاس، وقد طبع بفاس عام 1318 هـ . وقد علق رينو على هنا الكتاب فلاحظ أن المؤلف يعطينا مفردات بربرية مرادفة للمصطلحات الطبية العربية .

وهذا الكتاب متين التحليل ويعتبر فى نظرى نقطة تحول مهمة فى تاريخ الطب المغربى حيث يحاول المؤلف التوفيق بين الشهور والبروج والادوية وأنواع النباتات المتداولة فى الشرق والغرب وفى المغرب مصححاً فى بعض الأحيان أغلاط سلفه ومنظراً بين المصادر المطبوعة وديوسقوريدوس فى مصر وتقاليده أطباء المغرب وصيادته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة بأوروبا وأمريكا ويأتى أحياناً بأسماء الدواء بالعربية ومختلف لهجاتها ثم باللاتينية والافرنجية مع تحليل ذلك بالمصطلحات الحديثة العامة كالتمديد والتقطير وقد نقل من مصر نماذج عديدة من النباتات والعقاقير والادوية ويحكى عن تجارب شيوخه فى قصر العيني واسمائه الشخصى فى هذه التجارب وقد ذكر أنه شاهد زرافة مصبرة بالقصر العيني خلال قراءته علم الحيوانات (الضياء ص 57) وشارك فى تحضيرات بالمعمل الكيماوى بمصر (ص 72) .

وقد نقل عن نحو الخمسين مؤلفاً منهم ابن الخطيب

(ص 80) والوزير الفسانى صاحب الحديقة وعبد الرحمن الفاسى (ص 86) وعبد القادر ابن شقرون والطبيب الصيدلى العجلانى (ص 80) والطبيب المصرى أحمد بن حسين الرشيدى الذى عاش أول القرن الماضى وصاحب «عمدة المحتاج فى علمى الادوية والعلاج» وبقلاوش وهو طبيب يهودى سرقوسى ينقل عنه كثيراً وأبو جعفر أحمد بن ابى عبد الله ابن الحشا، صاحب تفسير الالفاظ الطبية واللغوية الواقعة فى الكتاب المنصورى (12) (ص 112) وصاحب «الدر اللامع» .

وقد ذكر رينو أن الطبيب مولاي عبد السلام العلمي هذا أسس مصحة صغيرة قرب الحرم الادريسي بفاس ثم مرض ولكنه انكب مع ذلك طوال 18 سنة على اتمام كتابه الضياء حتى توفى عام 1323 هـ .

وقد أشار العلمي فى الضياء (ص 115) الى انه نظم منظومة سماها «مفتاح التشريح» كما رتب تذكرة الانطاكى على الامراض بدلا من الحروف ليسهل الفحص على من يطلب علاج مرض مخصوص وشرح آخر الضياء مفردات كنوز الصحة حسبما حرره فى الاسبطالية المصرية وعالج به بعض الامراض وهذه الرسالة مشحونة بالاصطلاحات الحديثة ووصف العمليات العلمية مثال ذلك أسلوب تقطير مخلوط النوشادر بجهاز ولف الذى رسم له صورة حية :

وفى الختام سرد أسماء شيوخه بالقصر العيني منهم رئيس الاسبطالية وشيخه فى الجراحة محمد (فتحا) على باشا وشيوخه فى الامراض الباطنية على سرر المرضى وفى علم التشريح الهيكلى والعضلى والمفصلى وفى التشريح الطبيعى والكيمياء الطبية والاقرباذين (الصيدلة) وطب الرمد والامراض الجلدية والداء الزهري وعلم الحيوانات المصبرة واحجار المعادن وأمراض النساء والاطفال (فى اسبطالية أمراض النساء بمصر) .

رابو الفضل محمد العجلانى المذكور له تحفه الازيب عند من لا يحضره الطبيب اشار اليه لوكير (ج 2 ص 317) ولم يذكر أن له كتاب «الاستربة والمعاجين وتركيب الادوية وشرحا على أرجوزة ابن عزرون وكلاهما مخطوط بالكتبة الوطنية بالرباط .

(12) الموسوم (مفيد العلوم ومبيد الهموم» الذى نشره عام 1941 معهد الدروس العليا المغربية .

القرن التاسع والحاج ياسين الوسخيني والشيخ الحاج
على الدرقاوي الالفى والحاج عبلا الالفى (I3)

وقد استنتج لوكليير من امثال الطبيب ابن عزوز
المراكشي وجود مصنفات في الطب العربي بالغرب (ج
2 ص 308) وابن عزوز هذا هو عبد الله المراكشي
المعروف بسيدى بلة وهو صاحب «ذهب الكسوف ونفى
الظلمات في علم الطب والطبائع والحكمة» توجد نسخة
مخطوطة منه في المكتبة الوطنية بالرباط وقد ترجمه
لوكليير الى الفرنسية وهو ملئ بالمسائل النظرية وله
ترتيب غريب (العموميات ثم العلوم الطبيعية ثم حفظ
الصحة ثم الامراض ثم دراسة مفصلة لامراض العين نقلا
عن مذكرات حسين بن علي (لوكليير ج 2 ص 307) .

والدولة العلوية اول من اعتنى بالبعثات الطبية فقد
وجه السلطان مولاي الحسن عددا من الشبان المغاربة
لدراسة الطب في اوروبا فتنبع ستة منهم تمرينا في
المستشفى الاسباني بطنجة في ميدان الفحص والتضديد
والتشريح البسيط وقد ذكر رينو ان ثلاثة من هؤلاء
الاطباء المغاربة كانوا يعملون في طنجة ومراكش في
الجيش وقد استفاد الناس من تجاربهم (ص 60) .

وهكذا يتجلى لنا من هذا العرض الموجز ان المغرب
أسهم بحظ وافر في وضع أسس فن الطب أيام المرابطين
والموحدين غير أن هذا الفن وكذلك غيره من التعاليم
والعلوم والفلسفة بدأ يتقلص في عهد المرينيين ثم
الشرفاء بسبب الاضطرابات والازمات المتوالية وبالاخص
من جراء الذبول الذي لحق معالم الحضارة العربية
عموما والمغربية خصوصا ولكن هذا لا ينقص من قيمة
التراث المغربي الثمين الذي يعد لبنة أساسية في
مقومات الحضارة الانسانية .

عبد العزيز بنعبد الله

وقد أشار رينو الى اجتماع عقده اربعة من علماء فاس
في 8 شوال 1310 لامتحان طبيب مغربي فشهدوا بعد
استفساره بتضلعه في الطب وقوانينه وتطبيقاته ومعرفة
بتركيب الادوية وتقاسيم الشرايين ووظائفها وعددها
وعدد العظام وتمييزه بين أنواع العصب والعضلات في
الجسم ومعرفة النباتات والازهار والاعشاب الطبية
وخواصها واسماؤها وطرق اذابتها في الوقت الصالح
والاوقات المناسبة لوصفها للمرضى وبعد المداولة بين
العلماء خولوا للطبيب اجازة (ص 121) .

وعند تعرض رينو للحاج الحسن الذي لقيه بالصورة
ذكر انه قرأ الطب في تانكزونت بسوس حيث كان معه
نحو الخمسين طالبا غير ان هذه التعاليم نظرية فلا
علاج للمرضى ولا تشريح وانما تحفظ الدروس حفظا
(ص 117) .

وذكر الاستاذ محمد المختار السوسي في الجزء
الاول من كتابه القيم «سوس العالمية» جملة
من الاطباء السوسيين الذين لهم مؤلفات في الطب فعلاوة
على حسين الشوشاوي الراسلواي الذي هو من اهل
القرن التاسع أحمد بن عبد الله بن يعقوب السملالي
ومحمد بن أحمد السوق الحامدي له كتاب في الطب
ومحمد بن علي البعقلي صاحب «الطب البعقلي» الشهير
وتأليف طبي آخر لمحمد بن يحيى الازريفي ومن الاطباء
أحمد بن الشيخ الحضيكي حافظ تذكرة الانطاكي وكتاب
الزهرراي (انظر الحضيكيون للجيشتمى) وكان
يسردهما من حفظه في دروسه الطبية حيث كان يعلق
على شرح ابن رشد لمؤلف ابن سينا ومنهم أحمد
التهاي الذي مهر في الطب وامتاز فيه بين معاصريه
كأبن الحضيكي وكلاهما أدرك اول القرن الثالث عشر
وتم انطوى الفن ولم نر له ذكرا في التدريس او في
التأليف - كما يقول الاستاذ - اللهم الا بعض
المتطبين كابناء محمد بن سعيد الكرامى من اهل مختتم

(13) للشيخ ما. العينين الشنجيطي دفين تيزنيت (1246-1328) (منظومة في علم الطب) أودع فيها تدبير
الانسان من صبوته الى شيخوخته و (شفاء الانفاس فيما ينفع الاسنان وخصوصا الاغراس) نسبهما له حفيده ابن
بنته العلامة الشاعر الفحل ما. العينين بن العتيق الشنجيطي دفين مراكش في كتابه سحر البيان في
شمائل شيخنا الشيخ ما العينين الحسان في الباب الثاني منه ، وهو مصور على الشريط بالمكتبة العامة
بالرباط على مبيعة المؤلف .